العوامل النفسية والتربوية المرتبطة بتقبل الطفل للروضة

العوامل النفسية والتربوية المرتبطة بتقبل الطفل للروضة

أ.د. جمال شفيق أحمد

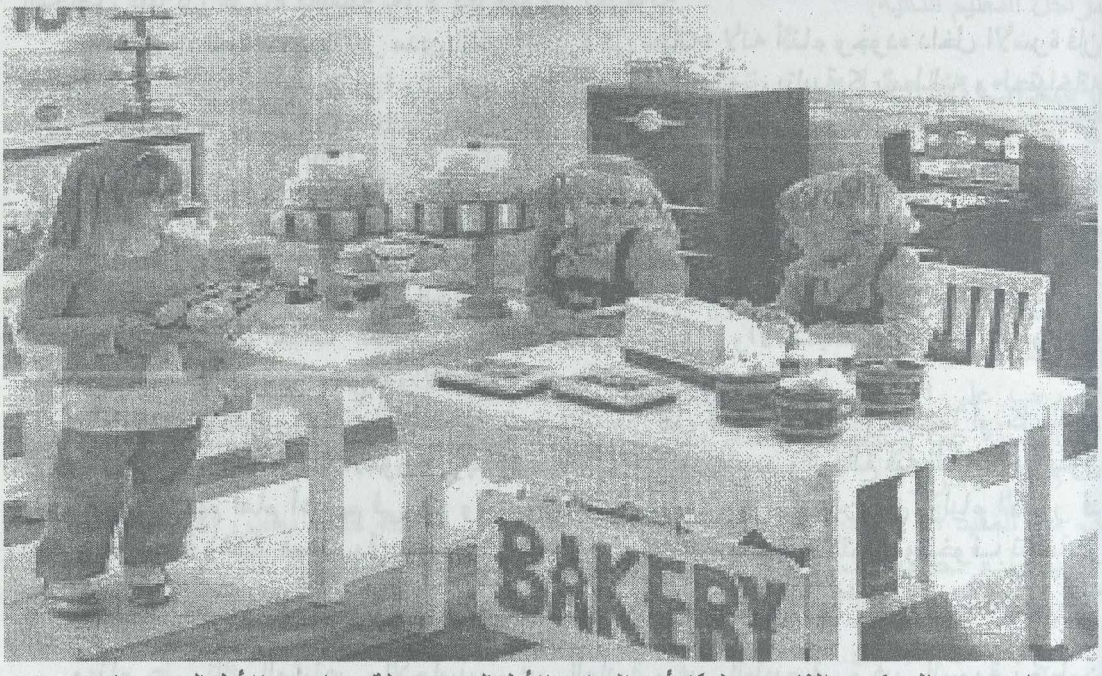

بات من المؤكد والثابت علميًا أن إلحاق الأطفال بمرحلة رياض الأطفال يساعد ويفيد بدرجة كبيرة فى تنمية جوانب نموهم النفسية والجسمية والعقلية والحركية والإدراكية واللغوية كما يساهم أيضًا فى تطوير قدراتهم وميولهم، وبالتالى تحقيق توافقهم الشخصى والاجتماعى.

ونظرًا لأن الأطفال يلتحقون برياض الأطفال وهم فى مرحلة (الطفولة المبكرة)، تلك المرحلة النمائية التى تتحدد فيها أسس شخصية الطفل وملامحها؛ لذلك فإن أى خبرات معينة تحدث فى هذه المرحلة الباكرة من حياة الطفل يمكن أن تترك بصماتها وآثارها (الإيجابية أو السلبية) على أحواله وسلوكه وتصرفاته وشخصيته، ليس فى هذه المرحلة فقط، وإنما تمتد هذه الآثار أيًا كان نوعها طوال فترة حياته.

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أنه يجب أن نضع فى اعتبارنا أن ذهاب الأطفال إلى الروضة يمثل فى حد ذاته (الأزمة النفسية الثالثة) التى تواجه الأطفال، بعد تعرضهم مسبقًا (للأزمة النفسية الأولى) وهى (أزمة أو صدمة الميلاد) والتى تتحدد فى انفصال الجنين عن رحم الأم الذى كان يعيش بداخله، وتلبى له ما فيه جميع مطالبه واحتياجاته الفسيولوجية بصورة مثالية ودقيقة ومحكمة ربانيًا، حيث يفاجأ ويصدم عقب الولادة بمواجهة عالم آخر جديد مختلف تمامًا عما عايشه وتمتع وتنعم به، وتعود عليه لمدة تسعة أشهر فى بطن أمه.

أما (الأزمة أو الصدمة الثانية) التى يمر بها الأطفال فهى :

(أزمة الفطام) وهى أن الطفل بعد أن كان يعتمد فى غذائه على ثدى أمه، واحتضانها له وحنوها عليه أثناء عملية الرضاعة، فإنه وحسب قلة وعيه وفهمه وإدراكه فى مرحلة الرضاعة، غالبًا ما يربط بين منع الثدى عنه وبين منع الحب والعطف والحنان والاهتمام؛ لذا فإنه ينصح نفسيًا وتربويًا بأن يكون فطام الطفل تدريجيًا وليس فجاءة.

وإذا ما نظرنا إلى (الصدمة الثالثة) التى قد يواجهها الأطفال أثناء فترة حياتهم النمائية فهى صدمة أو (أزمة الفطام النفسى) والانفصال عن الأسرة والذهاب إلى الروضة.

حيث إن الروضة قد تمثل لمعظم الأطفال فى هذه السن الباكرة من عمرهم مكانًا جديدًا وغريبًا، وشديد الاتساع إذا ما قورن ببيئة المنزل، لم يخبره ولم يألفه من قبل، يتعامل بداخله مع أشخاص كثيرين غرباء بالنسبة له، لا يعرفهم ولا يعرفونه.

وهنا يدرك الطفل ويستشعر مدى النقلة الكبيرة فى حياته؛ لأنه أثناء وجوده داخل الأسرة فإن الجميع من : الأب والأم والإخوة والأخوات مهتمين به وبخدمته، وبتلبية كل مطالبه و احتياجاته دون أن يطلبها أو يسأل عنها، فالكل ملتف حوله يساعده، ويعاونه، ويحميه ويدافع عنه حتى فى أماكن اللعب و النزهة والترفية، لدرجة أنهم يعتذرون شخصيًا نيابة عنه عندما يصدر عنه أو منه أى خطأ أو تصرف أو سلوك غير لائق أو غير مناسب.

غير أنه عندما يذهب الطفل للروضة ولأول مرة، فإن الأمر يكون مختلفًا تمامًا، حيث يقبل الأطفال على بيئة جديدة تحكمها النظم والقواعد والضوابط المختلفة، فهناك نظام الفصل والحصة والكتب، وبعض الواجبات المدرسية (التى تعطى خلسة)، والانضباط والالتزام بالمواعيد، والتعامل الاجتماعى مع المشرفة والأقران.

وقد يكون هناك دور أو سلوكيات أو تصرفات من قبل أحد الوالدين أو كليهما أو كل أفراد الأسرة، إذا أن بعض أولياء الأمور - وبحكم عاطفتهم وحبهم الشديد والمبالغ فيه للطفل - يريدون دائمًا رؤية طفلهم أمام أعينهم فى كل وقت وفى كل مكان، بل أن البعض من أولياء الأمور قد نجدهم فى حالة (شبة هيستيرية) أو حالة من الفزع والرعب والقلق والتوتر والخوف نتيجة أو بسبب أنهم لا يتصورون أو يتخيلون أن لا يكون طفلهم (وسط أحضانهم)، وهو ما يطلق عليه فى علم النفس (الرعاية أو الحماية الزائدة فى التربية).

وبناء على تلك المشاعر والأحاسيس غير العادية وغير الطبيعية وغير السوية يحيطون أطفالهم بكم هائل من الأوامر والنواهى والإرشادات والتحذيرات و التنبيهات من كل المحيطين بهم أو الذين سيتعاملون معهم داخل هذا المجتمع الجديد (الروضة).

ولعلهم ينتهجون تلك الأساليب والسلوكيات ظنًا منهم واعتقادًا بأن هذا هو الأسلوب الأمثل والمناسب لحماية الطفل والحفاظ عليه.

ومكمن الخطورة هنا فى مثل هذه الأحوال فى أن الطفل بطبيعته يحتاج دائمًا إلى الشعور بالأمن والأمان و الطمأنينة، ونظرًا لأن انتقاله من (حضن أسرته) إلى مجتمع آخر جديد غامض بالنسبة له وغريب، فإنه يؤذيه ويزعجه ويوتره؛ ذلك أن اى طفل عادى يحتاج لبعض الوقت حتى يستطيع أن يقيم علاقة اجتماعية تفاعلية ناجحة مع (المشرفة أو المعلمة) التى توازى أو تقارب بالنسبة له شخصية أمه، فضلاً عن إقامة علاقات اجتماعية أخرى مع زملائه داخل الفصل.

فإذا ما شعر الطفل بالخوف منهم، أو الابتعاد عنهم، أو بعدم القدرة على التفاهم أو التواصل أو التعامل معهم فإنه عند هذه الحالة يفقد الإحساس بالأمان، وتضطرب نفسيته، مما ينعكس سلبًا على سلوكه وتصرفاته، وقد يعانى من مشكلات التأتأة أو التلعثم فى الكلام، أو التبول اللا إرادى، أو فقدان الشهية للطعام أو الشعور بالمغص والصداع أو قد يصاب بالسخونة أو برودة الأطراف، وقد يدخل فى حالات من البكاء الشديد والصراخ دون وجود سبب معين.

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن خوف الوالدين على أطفالهم فى الحدود المعقولة أمر عادى وطبيعى، واشتياقهم إليهم وتلهفهم عليهم أثناء فترة وجودهم بالروضة تعتبر أحاسيس ومشاعر طيبة ومقبولة.

إلا أن الخوف الزائد والمبالغ فيه (المرضى)، والذى يصدر أحيانًا عن أولياء الأمور يكون له أثر سلبى شديد الخطورة على نفسية الأطفال وعلى مدى تقبلهم للروضة، وللأسف الشديد فإن مثل هذه المشاعر الخاصة بعدم تقبل الأطفال للروضة قد تستمر معهم مدى الحياة، إى فى جميع مراحل التعليم التالية.

إرشادات نفسية وتربوية للوالدين المقبل طفلهما على الروضة

لما كانت مرحلة انتقال الطفل من بيئة الأسرة الآمنة إلى بيئة الروضة الغامضة تحتاج إلى تخطى تلك المرحلة بهدوء وسلام، حتى يستطيع الطفل إن يجتازها دون الوقوع فى أزمة أو صدمة نفسية، فإنه يجب على الوالدين قدر الإمكان اتباع الإرشادات النفسية والتربوية التالية :

1- يجب أن يعى ويدرك الوالدين أن ذهاب طفلهما إلى الروضة أمر مفرح ومبهج يشرح الصدر، ومعناه ببساطة أنه كبر وأصبح على أولى أعتاب سلم العلم الذى سيفتح له آفاق المستقبل والنجاح.

2- يجب على الأسرة ضرورة تهيئة الطفل وإعداده قبل دخول الروضة بوقت كاف بالقصص الجميلة عما يرتبط بالروضة، وبأن ذهابه إليها هو مكافأة وجائزة على حسن أدبه وطاعته داخل الأسرة.

3- من المفيد أن يوضح الوالدان للطفل أن الروضة هى فرصة لتلبية بعض احتياجاته التى لا يستطيع تحقيقها داخل المنزل، مثل أنها مكان واسع للألعاب الكثيرة التى لا توجد بالمنزل (كالمرجيحة أو الزحليقة) وأن هناك أطفال من أصدقائه سوف يشاركونه اللعب والمسابقات مع بعضهم البعض.

4- إعطاء الطفل مساحة محدودة من التصرف بحرية واستقلال فى بعض الأمور البسيطة داخل الأسرة، حتى يستطيع الاعتماد على نفسه، والتصرف السليم فى بعض أموره الخاصة.

5- عدم المبالغة فى تعويد الطفل على الالتصاق بوالديه بشكل دائم ومستمر؛ تمهيدًا لانفصاله عنها وذهابه إلى الروضة.

6- ضرورة التحلى بالهدوء وتوعية الطفل بأسلوب بسيط دون تخويف أو تهويل، وتقديم النصح بالمحافظة على أغراضه الخاصة، وعدم المساس بأغراض زملائه إلا بعد استئذانهم.

7- ترغيب الطفل وحثه على ممارسة سلوك التعاون والمشاركة والمساعدة والتعاطف مع أصدقائه، وتبادل الأدوار فى الأخذ والعطاء لتنمى بداخله مشاعر الحب والانتماء.

8- تدريب الطفل وتشجيعه على حب الزى المدرسى والأدوات المدرسية مثل : (الحقيبة، القلم، الممحاة، المسطرة، البراية)؛ حتى يألفها ويحبها ويحافظ عليها.

9- حث الطفل وتشجيعه على ضرورة المحافظة على الأشياء الموجودة بالفصل من مقاعد وألعاب وحوائط وغيرها، وعدم إتلافها.

10- اكتشاف ميول الطفل وقدراته ومهاراته ومواهبه الخاصة، والعمل على تنميتها وتطويرها، وتشجيعه وتحفيزه ومكافأته باستمرار.

11- يجب على الوالدين مراعاة الانسحاب التدريجى فى الأسبوع الأول من التحاق الطفل بالروضة، وعدم تعويده على الوجود معه طوال اليوم.

12- عدم تراخى أو استسلام الوالدين لعدم تقبل الطفل للروضة، وإشعاره بقيمة الروضة وأهميتها ومزاياها، وأن كل الأطفال فى مثل سنه يحبون الذهاب للروضة والتمتع بما فيها.

13- مراعاة أولياء الأمور لتواجدهم بالروضة قبل ميعاد انصراف أطفالهم بوقت كاف؛ حتى لا يشعر الطفل بالخوف من عدم حضور أحد الوالدين لاصطحابه إلى المنزل مرة أخرى.

14- ينبغى على الوالدين اتباع أسلوب الحوار الهادئ فى التفاهم مع الطفل غير المتقبل للروضة، واحترام إنسانيته وطفولته وشخصيته، وتقبل مشكلته كما يراها هو ويبديها ويبررها، والإنصات إليه بحب واهتمام، والإجابة عن استفساراته بأسلوب منطقى بسيط يناسب قدراته المحدودة.

15- يجب أن يراعى الوالدان فى حالة عدم تقبل الطفل للروضة عدم التسرع لنقله إلى فصل أخر أو روضة أخرى؛ لأن ذلك من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيدًا وتأزمًا.

16- يجب أن لا ينزعج الوالدان فى حالة طفلهما غير المتقبل للروضة، وأن لا ينفعلا أو يصرخا فى وجه الطفل ويتهماه بالفشل أو بأنه أقل من الآخرين؛ حتى لا يفقد الثقة فى نفسه، وتنتابه مشاعر الدونية والنقص والعجز والانهزامية وكراهية الذات والخجل والانطوائية والانسحاب.

إرشادات نفيسة وتربوية لإدارة الروضة ومشرفاتها

مما لاشك فيه أن (الروضة) لها دور مهم وخطير جدًا فى تربية الطفل وسلوكه وشخصيته، بل وكل حياته فى هذه المرحلة المبكرة من عمره.

ومن هنا فإنه يجب على القائمين عليها باختلاف أدوارهم ووظائفهم مراعاة ما يلى مع الأطفال:

1- ضرورة توافر الكوادر المؤهلة للتعامل السليم مع الأطفال فى هذه الفئة العمرية، وإجادة فهم احتياجات الأطفال ومتطلباتهم فى النواحى الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، وسبل إشباعها وتحقيقها.

2- التطبيق التربوى السليم (لبرنامج الأسبوع التمهيدى) بالروضة، والذى يتم من خلاله التخفيف التدريجى لمشاعر الخوف والرهبة والغربة لدى الأطفال، مما يبعث فى نفوسهم الطمائنينة والألفة والراحة النفسية قدر الإمكان.

3- إثارة وتدعيم حب الروضة فى نفوس الأطفال من خلال توفير أدوات اللعب والترفية المختلفة.

4- ممارسة الأطفال للألعاب الجماعية والتنافسية والفردية حتى نسرع من درجة تفاعلهم واندماجهم مع بعضهم البعض.

5- توزيع الهدايا والجوائز الرمزية والحلويات والعصائر فى الأسبوع الأول بالروضة؛ مما يجذب الأطفال إليها، ويجعلهم يحبونها ويرتبطون بها بصورة سريعة.

6- ضرورة أن تتعامل إدارة الروضة والمشرفون مع قلق وخوف أولياء الأمور بصورة ايجابية قائمة على احترام مشاعرهم، والتعاطف معهم، والتعاون لما فيه راحة وسعادة أطفالهم.